من تراب الطريق (٤٢٩)

في محبة المسيح(*)

(١)

كنت فى الرابعة من عمرى ، أى من نحو سبعة وستين عاما ، حين ألحقنى أبى - مع أختى الكبرى - بمدرسة الراهبات Notre dam des Potre بشبين الكوم ، ثم ألحق فى العام التالى شقيقى المرحوم فاروق ثم شريف ، ومن بعدهما الأختين الصغيرتين الباقيتين من عنقود الأولاد آنذاك .. كان النظام الذى التزم به أبى عطيه عبده ، وهو مسلم شديد الالتزام بالإسلام ، ومتنور يفهم الإخاء بين الأديان .. أن تستمر البنات - بناته - فى مدرسة الراهبات حتى الحصول على شهادتها ، بينما الصبيان يمكثون لعام واحد ينتقلون بعده إلى المدارس العربية - وقد كان .. لا زلت أذكر أن هذا الإلحاق بمدرسة الراهبات ورئيستها الـ Mere وأعضاء التدريس من الأخوات الراهبات Soeur ، كان خاليا من أى حساسيات على الجانبين ، فلا حذرنا أبى أو أمى من أى تهاويم ، ولا استغلت المير والسيرات (الأم والأخوات) قيامهن بالتعليم لتلقين ما لا يتفق مع الإسلام .

ولا زلت أذكر أن أطباء الأسرة ، على كل التخصصات ، فى ذلك الوقت ، كان حافلا بأسماء مسيحية .. الدكتور العجوز جورجى ياتريدس - خبير الباطنة (يونانى الأصل) ، والدكتور نقولا تادرس إلى جانب الدكتور عمر سعد فى طب الأسنان ، والدكتور ناشد عبد المسيح والد الزميل صديق العمر

(*) المال ١/٤/٢٠١٠ .

أسعد ، وبنات الدكتور ناشد الثلاث الصديقات الحميمات لأخواتنا الثلاث ، والدكتور رياض سركيس ، كل هؤلاء ـ وبلا أى تفرقة ـ إلى جوار الدكاترة محمد مبارك ومحمد أبو باشا .. لم نعرف تفرقة بين الأطباء مرجعها إلى الانتماء الدينى أو الطائفى ، وكذلك الصيدليات ، وبين المدرسين والأصدقاء .

وقتها لم أتوقف لاستقطار الأسباب ، فلم يكن فى ذلك أى نبوّ عن مألوف يدعو إلى التساؤل ، ولما شَبَبْنا عن الطوق ، عرفنا مما قرأناه ، ثم درسناه فيما بعد وتأملنا فيه ، أن محبة السيد المسيح والمسيحيين متجذرة فى صفحات وجدان المسلمين فى بر مصر ، وأن هذا التجذر مستمد من الإسلام ذاته .. فقد دلنا ما كنا نتدارسه من الصبا ، أن احترام الأديان السماوية جزء لا يتجزأ من الإسلام ، وأن هذا الاحترام للأديان فرع على شجرة أصيلة أقرها القرآن المجيد الذى جعل الإيمان بكل الرسالات أصلا من الأصول الإسلامية .. ففى القرآن الحكيم : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة ١٣٦ ، المائدة ٥٩] .

وحين توسعنا فى قراءة مدونات الأديان ، لم نجد كتابا من الكتب السماوية يتحدث بمثل الحديث الرائع الذى تحدث به القرآن المجيد عن زكريا ويحيى ومريم والمسيح عليهم السلام .. نقرأ فى المصحف ، ونسمع فى التلاوات فى الإذاعة وفى المساجد وفى التعازى ، من آيات القرآن فى هؤلاء الأنبياء الأحياء .. ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٥ـ٣٩] .

﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٢] .

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٥ـ٤٦] .

﴿وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧) .

﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ ﴾.

[النساء ١٧١]

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧، ٢٥٣] ..

*****